الفصل السادس

مفهوم الطلاق

تعريف الطلاق: لغوياً هذا اللفظ مشتق من الإطلاق والترك، طلق قومه: تركهم وفارقهم، ويعني حل رابطة الزواج، والطليق هو غير المقيد، وكلمة [تَطلَقَ] وجهه ضد [تَقَبَض] أي أصبح الوجه طلقاً وهو تعبير عن الراحة. فالطلاق بمعنى التسريح أو إطلاق العنان، أي إعطاء الحرية المطلقة، والحرية المطلقة غير مُلزمة لصاحبها بأي من المنغصات، أو المضايقات. والطلاق غير الطرد، وتطارد القوم تعني حمل بعضهم على بعض، أو حملوا بعضهم الشقاء والتعب والإعياء. فالشريعة انطلقت في أحكامها من خلال الدين ففسحت المجال أمام حق الطلاق لبعض الضرورات، ولدفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما. لأن طبائع الناس ليست واحدة. كما إن هناك عيوباً خفية قد تظهر في أحد الزوجين تستدعي ضرورة الانفصال. وذلك حفاظاً على راحة الزوجين وليس لتحميلهما المزيد من الأذى. والطلاق لا يعني أن تطرد المرأة من بيتها، بل يعني إخلاء سبيلها، وعدم مضايقتها. ويعتبر الطلاق من الأعراض التي

لازمت الزواج منذ زمن نشأته فكان مشروعاً عند الشعوب القديمة مثل اليهود والفرس والرومان، ولم يمنع إلا في الديانة المسيحية التي اعتبرت الزواج فكرة الله وليس فكرة الإنسان وهو "فريضة الخلق" فلا يجوز التفريط به.

الطلاق في الإسلام:

الطلاق شرعه الله على بغض، ولا يلجأ إليه إلا حيث لا يكون هناك مفر منه. وتحذر الكثير من الآيات الكريمة من الطلاق، وتضمن حقوق النساء والرجال على حد سواء. ﴿إِنَّ أبغَضَ الحلالِ عندَ اللهِ الطَّلاقُ﴾.

إن الطلاق في الإسلام هو مشكلة بحد ذاتها، ولا تتضح نتائجه إلا بعد حين، ولهذا كان من الضروري التفكير والتروي قبل اتخاذ هذا القرار ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (سورة النساء)

الطلاق من أشد حوادث الحياة تسبباً للمشقة فهو يؤدي إلى تفكك الأسر وانحلالها، إنه تجربة قاسية لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، يسبب شعوراً بالمرارة ويسمح بتدخل الفضوليين، ويؤدي إلى انحراف المراهقين الذين يهربون من البيت الأبوي، بسبب انعدام العاطفة والأمان.

إن انعدام المحبة والاحترام والثقة بين الزوجين هي من الأسباب المباشرة للطلاق وخاصةً عندما تتخذ هذه المنازعات طابع العنف أو الشجار أمام الناس أو الأطفال، وكان يمكن تلافي كل هذه المنغصات لو استطاع كل من الزوج والزوجة إعادة بناء الثقة والابتعاد عن التعنت بالرأي، والعمل على التمسك بالإيمان والتقوى، والنظر إلى الزواج على

أنه فكرة الله لحفظ الجنس البشري وتأمين الراحة، والاستقرار، والرفقة الصالحة، والود والتآلف. ولكي تنعم الأسرة بالسلام والراحة وجب عليها التمسك بالصبر والإيمان للتغلب على ما يواجهها من متاعب:

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً {٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (سورة الطلاق الآية ٢-٣)

العلاقة بين الزوجين علاقة روحية يجب المحافظة عليها، ويجب التغاضي عن بعض المضايقات لأن طلب الكمال أمر صعب يتعذر الحصول عليه، ويستحسن غض النظر عن بعض المساوئ، والنظر إلى الجوانب الحسنة، والتوكل على الله.

وحُسن العشرة لا تكون إلا في اللين والتراضي والبعد عن التجريح والجدل؛ لأن الجدل هو الأكثر تدميراً وخاصةً إذا ترافق مع الوعيد والتهديد والتشهير. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً {١} فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.(سورة الطلاق الآيتان ١\٢)

الإسلام يطالب بالتروي، ومراجعة المواقف، وتهدئة النفوس، والقناعة لأن القناعة والإيمان هما الحل الأنسب لكل المشاكل، ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال ٤٦)

الآيات التي تنهي عن الطلاق كثيرة:

﴿تزوَّجُوا ولا تطلِّقوا فإنَّ الطَلاقَ يَهتزُّ لَهُ عرْشُ الرَّحمن﴾

وأيضاً: ﴿أبْغَضُ الحَلالِ عِنْدَ اللهِ الطَّلاق﴾.

نادى الإسلام بالسعي لحل أي إشكال قبل التفكير بالطلاق، وأحاط الزواج بالسمو والقدسية في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾. الإسلام وضع أسساً سليمة في تشريعه للطلاق من أجل مصلحة الزوجين حتى لا يتم استغلال الطلاق استغلالاً سيئاً فيؤدي إلى هدم الأسرة وتفككها، وضياع الأطفال، ومعظم الأطفال والأحداث الجانحين نحو الجريمة يأتون في الغالب من أسر مفككة. ويقول رسول الله في ذلك: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(سورة البقرة الآية ٢٧)

وفي آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٥)

الطلاق في المسيحية:

ولو نظرنا إلى المذهب الكاثوليكي لوجدنا أن هذا المذهب يحرم الطلاق تحريماً باتاً وفي حال حدوث نفور بين الزوجين فإنه يمنع الملامسة الجسدية فقط. ولا يبيح لأحد منهما الزواج من جديد، وشدد السيد المسيح في تعاليمه على أن الزواج اتحاد يدوم مدى الحياة، وأن رابطة الزواج أكثر من مجرد عقد شرعي **(أما قرأتم إن الذي خلق، من البدء خلقها ذكراً وأنثى)**(متى ١٩ :٤) وقال: **(من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، إذاً ليسا بعد اثنين بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان)**.(تك ٢ :٢٤)

أما عند الأخلاقيين ذوي النزعة المسيحية اللاهوتية تم الربط بين الواجب (أو الالتزام) ـ تجاه الزواج ـ وبين المحبة. وقد تأثروا بقول القديس بولس : "إن المحبة هي أداء الشريعة" إذ يرى المؤمن في أوامر الشريعة تحقيقاً لناموس المحبة، وحين تسود المحبة يختفي الشعور بالقسر. لهذا فإن التعليم المسيحي يؤكد بأن الزواج هو فكرة الله القائمة على المحبة والرفقة المتبادلة، والمساعدة، والتشجيع الذي يقدمه كل من الشريكين للآخر في سبيل إرضاء الله، ويكون فصم عرى الزوجية مناقض لإرادة الله، لأن **﴿ما يجمعه الله لا يفرقه إنسان﴾**.

ولا نجد في أحاديث السيد المسيح ما يجيز الطلاق، بل أكد على ضرورة ارتباط الرجل الواحد بامرأة واحدة. وحين سأله الفريسيون " "فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟" أجاب: **﴿إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا﴾** لقد رفض يسوع المسيح الطلاق رفضاً صريحاً، وصادق على ديمومة الزواج، "فالجسد الواحد" لا يقبل الزيادة ولا النقصان. كما أعلن أن التدبير الموسوي المتعلق بالطلاق إذعان لخطية الإنسان[1].

(فحذروا لروحكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابه) (ملاخي :٢- ٦)

أما في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتس يردد بولس فكر يسوع بخصوص حظر الطلاق. **﴿وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته﴾** (كورنتس:١٠-١١)

1- المسيحية والقضايا المعاصرة مرجع سابق ص: ٢٧١.

وفي رسالة بولس الرسول الخامسة إلى أهل أفسس: **﴿أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب﴾** (أفسس:٢٢)

﴿كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه.فإنه لم يبغض أحد جسده قط. بل يقويه ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة﴾ (أفسس ٥: ٢٨-٢٩)

الزواج المسيحي قائم من أجل الله لا من أجل الجسد والخطيئة. ولهذا يُعتبر عقد الزواج بعد الرسامة ممنوعاً على كل درجات الكهنوت من منصب الشماس المساعد وما فوق. وزوجة الكاهن غير قادرة على عقد زواج آخر فالقانون الكنسي لا يسمح للمرأة التي كرست نفسها لخدمة الرب بأن ترتبط برجل آخر إذا توفى زوجها الكاهن.

القديس بولس الذي كان يدرك ضعف الطبيعة البشرية وعدم استقرارها سمح للأرامل الشباب من غير طبقات الكهنوت بالزواج مرة ثانية إذا أرادوا كعلاج للفسوق.

﴿فحسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن بسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب. وكذلك المرأة أيضاً الرجل﴾ (كورنتس٧ :٢-٤).

(ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس. وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله).(عبرانيين:١٣ - ٤)

﴿وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزني﴾[1] (متى ١٩:٣)

لقد سمح بالطلاق على أساس واحد وهو الزنى أو الفجور لأن هذا

1- جون ستون، مرجع سابق ص٢٧.

ضد مبدأ الجسد الواحد وهو مبدأ أساسي في الزواج المسيحي.

وتحريم الزنى جاء قاطعاً في إنجيل متى الإصحاح الخامس الآية ٢٧-٣٠ **(قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزنوا. وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم.)** وهذا التحريم جاء لأن الفاجر سيلحق الضرر البالغ بشريكه.

والزنى تم التحذير منه في كل الديانات؛ حتى في الديانات القديمة، ولقد عبر المصريون القدماء طبقاً لتعاليم (بتاح حوتب) وهي من المؤلفات الفلسفية التي يرجع تاريخها إلى ٢٨٠٠ ق م، بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه بميزان القلب أمام أوزوريس والقضاة الاثنين والأربعين ـ وهناك العديد من الرسوم والنصوص التي تعالج هذه الفكرة وتظهر كفتي الميزان ـ فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن سوف يصدر الحكم لصاحبه بالسعادة الأبدية، وتم تحديد السلوك المستقيم الذي يضمن السعادة الأبدية في عدد من إعلانات البراءة التي احتواها كتاب الموتى (الورد ١٢٥) مثل: "لم أسرق حصص الخبز، ولم أتطفل على شؤون الآخرين، ولم أتجادل إلا في شؤوني الخاصة، ولم أضاجع امرأة متزوجة."

وكان العقاب لمن يخالف هذا التحريم هو الجلد في القرآن الكريم ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ورغم أن الطلاق في حد ذاته غير ما تسعى إليه الأديان إلا أنه قد يمثل

حلاً لبعض المشاكل التي قد تنشأ بين الزوجين، فهناك حالات لا تهتم بالقيم، ولا تعرف الرحمة، ولا تراعي شعور الآخر، والتعرض للأذى الجسدي ووجود نزعة عدوانية عند أحد الزوجين يجعل التمسك برباط الزوجية من الأمور الشاقة والخطيرة وهذا يستدعي حلاً سريعاً. أما حين لا يكون هناك توافق يستحسن عدم التسرع ويجب أخذ مشورة أصحاب الخبرة قبل حسم الموضوع. وإذا كان عقد الزواج عقداً شرعياً قانونياً يحدد التزامات كلا الزوجين، فلن يكون الطلاق وثيقة تحريرهما من هذه الالتزامات، بسبب الأثر الذي يتركه الطلاق على حياة كلا الزوجين وعلى أولادهما.

obeikan.com